أهمية تدريس الخط العربي في المنظومة التربوية الجزائرية

أ. عبد الحميد اسكندر
خبير في الخط العربي

لقد كان الاهتمام بتدريس الخط العربي في المدرسة الجزائرية غير وارد بالمرة، ولم تكن العناية به ضمن المنظومة التربوية إلا من خلال الكتابة مجرد (الكتابة) التي تنقل بها العلوم إلى التلاميذ دون مراعاة لجمال الخط ولا غاية في تحسينه،حسب قواعد مضبوطة ومقاييس ثابتة ومعترف بها، لأن المعلمين الجزائريين عبر تكوينهم لم يتلقوا الأصول الفنية لتدريس مادة الخط العربي، بل لم تدرج هذه المادة أصلا في سياق التعليم العام، ولذا نرى اختلاف الكتابة بين تلميذ وآخر، وبين مدرسة وأخرى، ناهيك بين منطقة وأخرى وبين مختلف أنحاء الوطن الواحد، وبين معلم وآخر، لأن كلا منهما (التلميذ والمعلم) اعتمدا على عشوائية في التمكن من الكتابة العادية. ونظرا لخطورة الوضع وأهميته في المجال التعليمي، فإن دراسة الخط العربي وفنياته للمعلم تعتبر ضرورة هامة، لأنه الوسيلة الدقيقة للتعبير الكتابي، يساعده في ذلك الوضوح والترتيب الذي يعطي فهما دقيقا لمعاني الكلمات وصدق، دلالتها.

أما إذا كان الخط رديئا فإنه يثير في النفس شعورا بالملل لدى قراءاته، ولا يستطيع القارئ (التلميذ) التعبير عن مقاصد الكاتب (المعلم) ولا التوصل إلى الفهم الصحيح للمعنى المطلوب، وتتجلى هذه الملحوظة الهامة في أوراق الإجابة في الامتحانات التي تشعر الأستاذ بالملل من رداءة الخط، ويصعب عليه بالتالي فهم مقاصد الطالب، ومن هنا تبرز الأهمية التعليمية لتدريس الخط العربي على امتداد مراحل التعليم في قدرة الطالب على أن يكتب بسرعة معقولة، كتابة يتحقق فيها الوضوح، مع التنسيق والجمال، وأما الوضوح فيتوافر في الخط باستيفاء السمات المميزة لكل حرف من حيث حجمه وشكله وكيفية اتصاله بغيره، وامتلاء أجزاء الحروف أو رقتها، وميلها واستقامتها وطولها وقصرها.

أما الجمال فيتحقق بانسجام الحروف والتناسق في أوضاع الكلمات وتناسب المسافات بينها في السطر الواحد ومجموعة السطور.

ولذا نركز مبدئيا على استحداث مادة تدريس فن الخط العربي في دور تكوين المعلمين أولا وأساسا، لأن تحقيق هذه الأهداف يقوم بأدائها المعلمون عبر مختلف المدارس وفق تصور واحد ومنهج مضبوط وانطلاق شامل يعم كل أرجاء الوطن.

ونسجل هنا وبكل أسف أن الاهتمام بتدريس الخط العربي في المدرسة الجزائرية جاء متأخرا إلى حد ما، ولم يكن على مستوى التكوين في دور المعلمين، وإنما كان في آخر مرحلة، تمثلت في تدريس الخط العربي في أوائل الثمانينات في المركز الوطني لتكوين إطارات التربية بالنسبة

للمفتشين في مجال التربية الفنية، وقد كان لي شرف على هذه المادة في هذا المركز قرابة العشرين سنة، وقد تخرج منه حوالي ست دفعات بواقع كل ثلاث سنوات لكل دفعة، وعممت على بعض الولايات فقط ولم تشمل كافة أنحاء الوطن.

وإن عمليات التفتيش تتم من حين لآخر، بحيث أن المفتش يوجه المعلم أثناء العملية التفتيشية وفق برنامج معد سلفا، ولكن فيما يخص الخط العربي فتكون التوجيهات عامة، ولا تخضع لقواعد مضبوطة يحتكم إليها المفتش والمعلم على حد السواء، ولم تكن للخط هذه الحظوة وهذه الخطوة وهذه الخطة وهذا البرنامج، على أساس أن الخط العربي يدخل ضمن مفهوم مادة التربية الفنية،وليس فنا مستقلا بذاته ، وهذا مما أثر سلبا على هذه المادة ولم تستفد منها المدرسة الجزائرية على نطاق واسع. لأن الخط العربي يعتمد على الموهبة الطبيعية، ثم التعلم والتدريب اللذان يقومان على العمل المتواصل، مما يساعد على تنمية القدرة على الترتيب والتنظيم والنظام والدقة في الملاحظة، والقدرة على التركيز في تمييز الخط الجيد، ذلك أن أصحاب المواهب المختلفة قادرون على تعويض النقص عندهم إن أحسن تدريبهم وتعهدهم بالتعلم والتوجيه، وهنا لابد من القول أن النهوض بتعلم الخط للطلاب منوط أولا وآخرا بالمدرس الكفء الذي يتولى التعليم والتوجيه الصحيح.

إذ أن الخط العربي ليس من المواد الدراسية التي يستطيع الطالب الاستقلال بتحصيلها دون الاستعانة بالمدرس الذي يزوده بالإرشادات والتوجيهات والمراجع، ولذا يقال إن الخط مخفي في تعليم الأستاذ.

ومن هنا كان إعداد مدرسي الخط العربي وتأهيلهم ثقافيا وفنيا للقيام بهذا الواجب خير قيام، أمرا ضروريا في مجال التربية والتعليم، وهذا الإعداد يكمن في أن يكون خط المدرس على جانب من الجمال والدقة، ويتمتع بالأصول الفنية التي تضبط معاني الكلمات وأوضاع الحروف وصورها الفنية من حيث الارتفاع والهبوط والرقة والانحناء ليستطيع أن يقدم لتلاميذه كتابة صحيحة تتميز بالدقة والنظام وحسن الذوق وسهولة الفهم.

ذلك أن الخط العربي هو عصب كل الفنون والعلوم والعامل المشترك في كل فروع المعرفة، فهو متواجد في كل مجالات الحياة على عمائر وتحف وأحجار ومخطوطات ومسكوكات وإعلانات إشهارية، ونشاطات ثقافية، فبه ومنه استمدت الحضارة الإسلامية وجودها وأصبحت لها مكانة بارزة مميزة، ويتجلى ذلك خاصة في مجال خطوط المصاحف الشريفة والأحاديث النبوية الكريمة التي تبارى فيها الخطاطون وتفانوا في مجال روعة الإبداع وقمة الإتقان، مما مهد السبيل لهم علو المكانة وشرف العمل ونبل الغاية وذلك ابتغاء رضوان الله وحبا في نيل الجزاء الأوفى منه وحتى يكون شفيعا لهم دنيا وآخرة.

وكنا نأمل أن تأخذ اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية هذا الجانب وتوليه ما يستحقه من العناية والرعاية في محصلة تقريرها النهائي، وذلك بتوصية منها على إنشاء مدرسة خاصة لتحسين الخطوط العربية على غرار ما هو معمول به في جميع الدول العربية.

وعلى سبيل التجربة تنشأ مدرسة نموذجية في العاصمة على أن تتبعها مدارس أخرى في أكبر الولايات من الوطن، ويلتحق بها أصحاب المواهب ومن له رغبة في تعلم هذا الفن الخالد. لأن العناية بالخط العربي هو عناية باللغة نفسها، وقد كان الخط الجميل في كثير من دول العالم هو المعيار الدقيق والعنوان المعبر عن تقدم ورقي أي لغة، كما يدل على تحضر مواطنيها ومدى رفعة ذوقهم الفني وعلو كعبهم في مجالات الإبداع والابتكار والتفوق الحضاري، وهو من أهم المراجع والمعالم التي يستند إليها في تقييم النمو والتطور التاريخي عبر الأجيال والعصور.

إنّ الخطّ العربي (أو الإسلامي كما يقال) يعدّ في طليعة الفنون الإسلامية العريقة، ويحتل مكانة بارزة ومميزة، إذ هو الفن الراقي الذي يزيد من حضارتنا وثقافتنا العربية الإسلامية توهجا وتأثيرا وتألقا، بحيث تتجلى نماذجه الرائعة في المساجد والمؤسسات التي تطالعنا فيها آيات بيّنات من الذكر الحكيم، وما تحتوي من حكم وأمثال وأشعار، وقد أخرجت كل هذه الكنوز في قوالب رائعة فيها الإبداع، مما يبرز بوضوح روعة وجمال الخط العربي بما ينمي الإحساس الوجداني والذوق الرفيع.

وإنّنا لنأمل من هذا الملتقى أن يكون عنوان تفهم حقيقي بأهمية الخط العربي وأصالته تاريخيا وفنيا وحضاريا وثقافيا وإنسانيا، وهو ما يترسخ يوما بعد يوم من خلال مشاركة بقية الدول العربية في مثل هذه الملتقيات والتي يقدم فيها كل المبدعين أروع ما لديهم من لوحات، ومساهمات فنية تليق بمقام ومكانة الخط العربي وخدمة لهذا الفن الأصيل والجميل الذي عم أرجاء المعمورة بفضل هذه المعارض وحرص المدارس الخطية التفاني في نشر وتحسين أصوله وتثبيت قواعده التي توارثها الخطاطون جيلا بعد جيل.

إن الهدف من تدريس الخط العربي في مدرسة هو الحفاظ على قيم وأساليب فن الخط وإحيائه عن طريق تشجيع خطاطي الجيل المعاصر والأجيال المقبلة، ولفتح الطريق أمام أعمال الخطاطين وفق المناهج التقليدية المتعارف عليها حسب المفاهيم المشتركة التي رسخها أعلام هذا الفن على مر العصور، بعيدا عن التأثيرات الدخيلة التي تتنافى مع المفهوم الأصيل لفن الخط العربي.

والخط العربي حدث تاريخي مهم في حياة هذه الأمة التي قدمت أرقى ثمارها للعالم يانعة ناضجة، والخط العربي من حيث هو تاريخ وفن، فإن وصف معالمه واستجلاء مكوناته وكشف حالات التحسين والتجويد فيه للوصول إلى استنتاجات جديدة أصبحت من واجب أولئك الذين بذلوا زهرة شبابهم وعنفوان رجولتهم في سبيل البحث العلمي والفني ووضع الحقائق في نصابها كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا.

وقد أفرز لنا تاريخنا المشرق خطاطين مبدعين أكسبوا الخط العربي سمات ومزايا جمالية جعلته من أجمل الخطوط في العالم، بدأت الجهود مسيرتها منذ العصر الأموي وأخذت تتسلق قمة المجد إلى يومنا هذا.

وهؤلاء العباقرة لا يمكن أن يكونوا كتابا اعتياديين أو نساخا تجاريين ووراقين بل هم الصفوة المختارة من الخطاطين الذين نالوا الحظوة لدى الولاة والخلفاء والسلاطين والرؤساء، أسسوا مدارس متميزة وكانت لهم عقليات متقدة ذكاء وعلما وفنا، أذكر من أولئك الذين كان لهم السبق الأولي في هذا الفن، وتركوا آثارا خالدة على صعيد تقنيات الخط وأحدثوا تغييرات جوهرية في تطويره في نطاق قواعد الخط المتعارف عليها بين الخطاطين.

إن شبابنا اليوم مدعو لتجسيد هذا المقوم العربي لدى أمتنا العربية الإسلامية ونسهر جميعا على خلق أجواء وآفاق واسعة لبلوغ ما نطمح إليه من الإتقان والتفوق والتميز في هذا الفن الخالد، لأنه إذا كانت اللغة والثقافة والتاريخ والتطلعات من مقومات الشخصية بين الشعوب العربية فإن الخط العربي هو أخص هذه المقومات.

مما لاشك فيه أن عملية تنمية الطاقة البشرية وتطويرها تتم عن طريق تزويدها بالمعلومات والمهارات التي تمكنها وتجعلها قادرة على مواجهة التطورات الحاصلة في جوانب الحياة المختلفة، وهذا يتطلب منهجا نمطيا وعمليا في العملية التربوية، لذا كانت مهنة التعليم تعد من أهم المهن فنجاحها أو فشلها ينعكس على المهن الأخرى في المجتمع، فهي تحتاج إلى

ملاكات من المدرسين الأكفاء المعدين إعدادا خاصا والمؤهلين لأداء مهنتهم مخلصين في القيام بواجباتهم أحسن قيام.

إن كل عملية في التعليم تتطلب أنواعا من المهارة، وتكون هذه المهارات تتطلب عملا منظما يقوم به المعلم والمتعلم لتنميتها، وبهذا يكسب صفة المهارة وليكون ماهرا في مجال تخصصه، عمليا وفنيا، ويصبح المتعلم الجاد عالما وفنانا وخطاطا وهذا بالطبع يعود إلى الكفاءة التي يتمتع بها المدرس في أداء مهارته أمام الطلبة، بعد ممارستهم لعمل المدرس فيكسبون المهارة والدقة في العمل خلال حياتهم الدراسية، وهذه العملية في مجال الفنون ليس من السهل بلوغها في أقصر مدة، وهذا ما يجب أن يدركه معلم الفنون بصورة عامة والخط العربي بخاصة.

فالخط العربي من حيث هو فن، فإن ممارسته تعتمد على أساسين شأنه في ذلك سائر الفنون الجميلة الأخرى، وهما ا الموهبة والتقنية المكتسبةب فإن كانت الموهبة فطرية، ومع ذلك يمكن صقلها عن طريق التدريب والتعليم الذي يسفر عما يسمى بالتقنية التي تتطلب دقة المحاكاة للنماذج الخطية الجيدة، والإرشاد البارع نحو هذه المحاكاة.

إن التقنية والتدريب الجيد يمكن أن يتولد عنهما الإتقان الجيد في ممارسة التخصص ونقصد هنا مادة الخط العربي.

ولا ننسى فضل مدرسة الفنون الجميلة من حيث أنها جعلت الخط العربي أحد المواد الأساسية في التدريس، عندما كانت شعبة الفنون التطبيقية توليه عناية خاصة، وتخرجت منها ثلة من الطلبة وأخص

بالذكر الخطاطين: عبد القادر بومالة، سعيد بن جاب الله محمد بوثلجة، قويدري خليفة. تخصصت في فن الخط العربي، واستفادت ببعثة إلى القاهرة والتحقت بمدرسة تحسين الخطوط العربية هناك فنالت بذلك تجربة وتعمقت أكثر في معرفة خصائص كل الخطوط واكتشاف أسرار الإبداع في كل نوع منها.

وها هي تقوم بمسؤولية في تعميم جمالية الخط في الجزائر، ولو أنها لم تبلغ ما بلغته بعض الأقطار في تجويد الخط نظرا لقلة عدد المتخرجين فيها، ولم تستوعب بعد العديد من ذوي المواهب في المجال عبر أنحاء الوطن، وهم كثر حسب ما يتناهى إلينا من اكتشافنا لهم بالصدفة أو التمكن من معرفة كل الخطوط والتفوق في بعض منها وذلك عن طريق التكوين الذاتي فقط، وعصامية مشهودة لهم، فإن المستقبل يعد بأن الجزائر مقبلة على أن يكون لها خط واعد في فن الخط العربي، ولعل أكبر دليل على ذلك هو مشاركة العديد منهم في المسابقة الدولية للخط العربي باستانبول من مختلف مناطق الوطن، وهذا بفضل الرواد من أبنائها وعلى رأس القائمة الخطاط الدكتور الأستاذ محمد شريفي.

وهنا لابد من فتح قوس على الأستاذ محمد شريفي الذي كانت لي معه زمالة في مدرسة تحسين الخطوط بالقاهرة وكان نعم الأخ والصديق لكل زملائه الطلبة الجزائريين لدماثة خلقه وسعة صدره وتمسكه بالأخلاق والمبادئ، وكان مثالا للطالب المجتهد ونال أرفع الدرجات وكان من المتفوقين الأوائل.

وعندما رجع إلى الوطن بعد الاستقلال، واصل مشواره الفني كأستاذ مميز في المدرسة الوطنية للفنون الجميلة إلى غاية اليوم علاوة على بحوثه القيمة في مجال الخط العربي وقدم أطروحة لنيل الماجستير عن خطوط المصاحف مشرقا ومغربا وحاز على شهادة الدكتوراه عن اللوحة الخطية في الخط العربي كما كانت له كراريس خطية في كل أنواع الخطوط، وقد اغترف منها الكثير من محبي هذا الفن وكانت لهم نعم المعين والمرشد والدليل الأمين، وقد توج مسيرته الفنية تخطيطه لثلاثة مصاحف شريفة وهي مطبوعة ومتداولة بين الناس في المشرق والمغرب العربيين، وهذا مما زادنا تقديرا له واعتزازا بإنجازاته الخطية.

والآن يحق لنا أن نتساءل: أين تكمن جمالية الخط العربي، وما سر هذه الروعة التي تثير الإعجاب في لوحة خطية ؟ في الحرف العربي بكل أنواعه وأشكاله ومواقعه رشاقة تحسها في امتداد الألف وفي عنق الفاء وفي طرف الحاء ونهاية السين، وتحسها في اتصالات الحروف بعضها مع بعض في تعانق ولهفة وانسجام، كما تلمسها في التفاف النهايات في الراء والدال والواو والقاف وغيرها وأخيرا في التشكيل الفني بين الكلمات دون فراغات أو مساحات خالية، مع ما يرافقها من حركات وعلامات زخرفية تكمل اللوحة في أطر فنية بديعة.

وهكذا غدت اللوحات الخطية تزين القاعات والغرف والمحلات بخطوطها المختلفة فهي ليست لوحات للتبرك فحسب وإنما لوحات زينة وجمال مظهر، وذلك حرص الناس ليست على اقتناء عدد منها في كل

بيت، وأصبحت وسيلة للتهادي في المناسبات والخط العربي هو جزء مهم من التراث الحي للأمة العربية، ويرتبط بلغتنا وتطورنا الثقافي ويرجع إليه الفضل في تماسك العرب ووحدتهم وحفظ تراثهم.

وهو على أهمية وجلال قدره، لم يأتنا الخط العربي منزلا من السماء، وهو كسائر الفنون الحضارية ثمرة يانعة لجهود جبارة ومساع مباركة، بذلها أجدادنا، جيل بعد جيل، حتى أصبح فنا راقيا تعتز به الدول العربية غاية الاعتزاز، وتفتخر به منتهى الافتخار، فهو ممثلا وفارضا وجوده الفني والحضاري في كتابات المراسلات الرئاسية والملكية والدعوات الرسمية والتهاني به في الأعياد الدينية والمناسبات الوطنية وهذا ما تبنته وقررته الدولة الجزائرية منذ الاستقلال حتى الآن. وهذا ما لمسناه وعايشناه عمليا وميدانيا في عهد فخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، الذي يحرص كل الحرص على إعطاء الأولوية للفة العربية أولا للخط العربي ثانيا في كل نشاطاته الرسمية وهذا ما يؤكد توجهه العربي وتطلعاته بأن يكون لكليهما دور فعال في تطويرهما وترقيتهما وبالتالي يعود لهما ذلك التوهج والازدهار الذي عرفته أمتنا العربية في سابق عصورها الذهبية.

وقد كان إسهام المجلس الأعلى للغة العربية تحت وصاية رئاسة الجمهورية في عقد الندوة الأولى حول الخط العربي وجمالياته إلا دليل على أننا دخلنا عهدا جديدا تكون الصدارة لذوي الاختصاص وأصحاب الكفاءات وتشجيع المواهب في جميع العلوم والفنون والمعارف

ونظرا للمكانة الحضارية التي أتاحتها هذه الندوة فقد بات من الضروري تعميق الصلة وإدامتها مع العاملين في هذا الحقل الواسع من علماء لغة وباحثين وخطاطين ومزخرفين ومهتمين بهما في جميع الوطن.

كما يتعين التعاون مع المؤسسات والهيئات ذات العلاقة بين اللغة العربية من جهة وتحسين الحرف العربي من جهة أخرى على الصعد الرسمية أو غيرها حشدا للطاقات المبدعة وتسهيلا لأداء مهامها في الميدان اللغوي والخطي على حد سواء.

كما يتعين التأكيد على الجانب العلمي في الخط والزخرفة بما في ذلك من أهمية في رفع المستوى الفني وترقيته لدى المهتمين بهذا الفن الجميل الرائع.

وهذا ما لمسناه معاينة وعشناه في الميدان وأثلج صدورنا من خلال الأيام الوطنية الثالثة والرابعة لفن الخط العربي في كل من ولاية بسكرة وولاية المدية، وقد كانا من السباقين في في إقامة هذين التظاهرتين الفنيتين، وقد شارك فيهما أكثر من أربعين خطاطا من مختلف ولايات الوطن، سواء في الدورة الأولى أو الثانية، وكانت النتيجة الباهرة التي توصلنا إليها أننا اكتشفنا بحق إبداعات واعدة تبشر بخير مستقبل هذا الفن في جزائرنا الحبيبة.

وإني أنتهز هذه المناسبة لأشيد وأنوه بولايتي بسكرة والمدية على ما أتاحتهما لنا من خلق أجواء وآفاق واسعة لشبابنا الطامح لبلوغ هذا المستوى من الإتقان والتفوق والتميز.

وهذا ما نطمح له ونسعى لبلوغه عن جدارة واستحقاق من خلال المشاركين في مثل هذه الملتقيات.

وهناك ظاهرة أود الحديث عنها، وقد زاحمت بفعل تأثيرها الإبداع الفني للخطاط.

وهذه الظاهرة تتمثل في عمل الحاسوب أو الإعلام الآلي، إذ لم يكن في يوم من الأيام، ولن يكون بطبيعة الحال خطاطا، ولا يعوض يد الخطاط الحقيقي أبدا، لأن الحرف العربي حرف ينبض بالحياة، ولا يأتي من جماد، والحاسوب آلة راكنة صماء، أما استخدام الحاسوب في الخط العربي فهذا يشد الانتباه لصالح الحاسوب لأنه يخدم الوظائف الإدارية والخدمات السريعة في المعاملات والرسائل واللوحات الإعلانية على صدر أبواب المكاتب، فهو في هذه الحالة يخدم العمل الذي لا يتحلى بروحية الفن، أما من ناحية أنه يستطيع أن يأخذ مكان الخطاط في أعماله الفنية ولوحاته، فهذا لا يمكن، لهذا أما شخصيا أقبل بالحاسوب في المعاملات الإدارية والمعاملات السريعة ولا أباركه بديلا عن الخطاط لأن إبداع الخطاط وفنياته الخطية المتنوعة من خلال جميع الخطوط وتركيباتها الفنية التي يختزنها الخطاط عبر ما توحي له مضامين ما يبدع من معاني وأفكار وتطلعات.

ففي الخط العربي بالذات تسمو قيمة الشكل بقيمة المضمون، حيث يكتسب الشكل في التكوين الفني قيمته المتعالية والمتسامية من معاني المضامين البليغة والخالدة وسموها التي تتوج فن

الخط العربي، ولا يزال ينحو إلى التجويد الفني السامي في التعبير البصري عنها عبر أداء خط الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة والحكم والأمثال الخالدة والمقولات السديدة والبليغة وروائع الأعمال الأدبية في لوحات فنية بديعة ورائعة وجميلة.

وأخيرا وليس آخرا، الاهتمام بأعلام الخط العربي قديمهم وحديثهم، والتوجه لدراسة حياتهم وآثارهم، وإعطائهم المكانة اللائقة بهم، باعتبارهم شوامخ يعتز بهم، وتكريمهم دوريا في كل قطر عربي، وهذا ما نحياه اليوم في هذه الأمسية المباركة، وذلك حرصا على الأصالة وإذكاء الجذوة الحية في تراث هذه الأمة التي فتن بها العالم أجمع قديما وحديثا، وما زال تأثيرها يثير الانبهار والإعجاب والجذب وهذا ما نسعى إلى تحقيقه مستقبلا بعون الله وقدرته على مستوى وطننا العزيز.

وما دمنا في جو الاحتفاء بفن الخط العربي والاهتمام بمبدعيه في مجال الخلق ومحبيه في مجال الحفاظ عليه، والمدافعين عنه من كل محاولات التشويه، والإبقاء على جمالياته وتميزه، فإنه يجب علينا أن نذكر وبإشادة خاصة ملتقى:

«المهرجان الدولي الأول لفن الخط العربي والزخرفة الإسلامية في إطار احتفالية الجزائر عاصمة الثقافة العربية»

وقد كانت نتائجه الباهرة وما أسفر عنه من اكتشاف مواهب أثبتت وجودها عمليا، بما قدمت من روائع وإبداعات ومهارات فريدة في نوعها، وجديدة في إخراجها، ومعبرة في ذات الوقت عن عبقريات واعدة

وإلهامات ساحرة، ساهم في إعدادها حشد كبير من الخطاطين من مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي، ليؤكدوا بدورهم من خلال تنافسهم الشريف عما بلغه هذا الفن من تطور وارتقاء وجمال وتأثير، خاصة عندما يحظى بالرعاية السامية من أولي الأمر.

إن الجزائر كانت تسعى من خلال هذا المهرجان إتاحة الفرصة لخطاطي أقطار العالم العربي والإسلامي، بما فيهم خطاطي الجزائر، أن يجمعهم هذا اللقاء التاريخي الهام، وأن تساهم كل دولة مشاركة بما لديها من إبداعات من خلال ما تعرضه من كنوز خطية متنوعة من أجل ترسيخ فن الخط ودعمه ونشره بقواعده الجمالية الأصيلة.

وفي هذا الإطار وجهت دعوات رسمية للمشاركة من مختلف الدول العربية والإسلامية، بالإضافة إلى توجيه دعوة شرفية خاصة، إلى جمهورية تركيا الشقيقة، ممثلة في مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ا أرسيكا ا، نظرا لما لهذا المركز من فعالية ونشاط، ولما له من زيادة وتفوق وتميز وخدمات جليلة في مجال فن الخط العربي والزخرفة الإسلامية.

وهذا بفضل ما لديه من نخب ممتازة ومميزة، لهم باع طويل، في خدمة فن الخط وتطويره والمحافظة عليه جيلا بعد جيل. وهذا ما دعانا إلى إقامة ورشات تعليمية، تدريبية أشرف عليها عمالقة هذا الفن وتلقين قواعده إلى المواهب الجزائرية الشابة، والأخذ بيدها والتمكين لها، من التعرف على جميع أنواع الخطوط المتنوعة الجميلة، مما يتيح للموهوبين عاجلا

وآجلا، من أبنائنا الخطاطين، التشجيع لهم على الدخول، في محراب هذا الفن بكل جدية ورغبة ملحة، وفي الإلمام بكل أسراره ومتابعة مسيرة الإجادة والحفاظ على قيم وأساليب فن الخط، عن طريق التلقين والتصحيح والتوجيه السليم، مما يساعد المتعلم المجتهد من التفوق والتميز في جميع أنواعه الجميلة وأقلامه الرائعة.

كما وجهت دعوات للمحاضرين المتخصصين في تاريخ الخط وتطويره، والتعريف بجمالياته وتجليات أسراره، حتى يستفيد كل المشاركين على حد سواء، من الفائدة المعرفية والعلمية لكل من له صلة بهذا الفن الخالد من قريب أو بعيد.

والخلاصة أن النجاح الباهر المنقطع النظير، والحافل الذي حققه المهرجان، بكل أبعاده المرجوة، كان بفضل ما تخلله من فعاليات بدءا من عرض للوحات الخطية المختارة لأشهر الخطاطين، وطنيا وعربيا وإسلاميا، والتي تعرف الجمهور الجزائري عليها، بكل اهتمام وتجاوب وفعالية، طيلة شهر كامل، مما أتاح له التعمق في كشف أسرار فن الخط بكل وضوح وتلقائية، من خلال تلك اللوحات الخطية، وقد أخرجت كل هذه الكنوز، في قوالب رائعة فيها الإبداع، مما يبرز روعة وجمال فن الخط العربي مما ينمي الإحساس الوجداني والذوق الرفيع.

كما كان للمهرجان حظ وافر، وبعد فني وتاريخي، من خلال تلك المحاضرات والمداخلات لأهل الاختصاص في مجال التعريف لفن الخط عمليا وعلميا وفنيا وتاريخيا وإنسانيا، وبهذا حقق هذا المهرجان الجانب

التثقيفي، ويمكن له أن يكون بذلك مرجعا حقيقيا ورافدا علميا وخير دليل وموجه وناصح أمين، لكل عشاق هذا الفن الجميل الخالد.

ولعل المفاجأة السارة في هذا المهرجان، كانت تتمثل في تكريم عميد الخط العربي الأستاذ سيد إبراهيم إذ أقيم له جناح خاص، لأهم لوحاته الأصلية الفنية الرائعة، بحضور نجيله الكريمين خالد وسعاد وذلك احتفاء واحتفالا معنا بوالدهما العظيم.

وفي إطار هذا المهرجان انتظمت ورشات تعليمية، وتدريبية أطرها أعضاء من مركز ا أرسيكا ا بالإضافة لبعض الحضور من الوفود العربية، فيما يخص جماليات الخط وكيفية الالتزام بالقواعد الخطية، في أي نوع منه، علاوة، على صناعة الورق المجزع (الأبرو) وكذا الإلمام بالزخرفة وفن المنظمات من أجل أن يكون هناك تكامل بين فن الخط وجماليات اللوحة الخطية تأطيرا وإخراجا وتلوينا وتذهيبا.

كما أن هذا المهرجان فسح المجال لمشاركة قرابة الأربعين خطاطا ومزخرفا، من الجزائر، ومن مختلف ولايات الوطن، وقد أتاحت هذه المشاركة الجزائرية اكتشاف إبداعات بحق واعدة تبشر بخير، مستقبل هذا الفن، كما أنها خلقت أجواء وآفاق واسعة لشبابنا الطامح لبلوغ هذا المستوى الإيجابي الفني، الذي امتاز به هذا المهرجان من حيث الإتقان والتفوق والتميز، لدى كل المشاركين وطنيا وعربيا وإسلاميا.

إن الجزائر وهي تستعد لاحتضان هذا المهرجان، كانت تأمل أن تهيئ لكل المشاركين فضاء واسعا ورحبا، من خلال ذلك التفاعل والتجاوب

والتعارف، وتبادل الخبرات والتجارب، بين أشهر الخطاطين من مختلف الدول العربية والإسلامية، مع المواهب الشابة الجزائرية، وهذا اللقاء في حد ذاته كان احتفالا كبيرا لفن الخط العربي أولا، بل كان عرسا بهيجا للجميع، والذي أتاح لنا اكتشاف عدد اكبر من المبدعين والراسخين في هذا الفن، مما زاد من يقيننا أن هذا المهرجان حقق نجاحات باهرة، فاقت كل التوقعات، وقد أشاد بهذا كل المشاركين الضيوف، وان الجزائر كانت مؤمنة بهذه النتيجة، وإن ما كانت تطمح إليه، قد تحقق بفضل تفاني الجميع من مشاركين وضيوف ومنظمين. من اجل الحفاظ والتمكين، لهذا الفن بالانتشار والذيوع، عبر أنحاء العالم العربي والإسلامي، لأن الجميع كان يحدوهم الأمل والعمل، على مواصلة السير على نهج الجزائر، والحرص على إقامة مثل هذا المهرجان، في العديد من الدول العربية والإسلامية دوريا، مما يزيد من القيمة الجمالية لهذا الفن، ولعل أهم إنجاز أسفر عنه هذا المهرجان، هو إعداد كتاب فاخر، يوثق بطريقة فنية راقية، وذلك بنشر اللوحات التي أعدت خصيصا لهذا المهرجان، وبالتالي التعرف عن كثب على إبداعات كل المشاركين، مع نبذة مختصرة عنهم، وإلقاء أضواء كاشفة عن مسيرتهم الخطية، أو عن أبحاثهم القيمة، حتى تكون مرجعا حقيقيا، ومنارة ساطعة، يهتدي بها كل عاشق ومحب لفن الخط العربي، وقد وزع منه على كل المشاركين ثلاث كتب، كتذكار لهم على ما بذلوه من جهد في سبيل إنجاح هذا اللقاء، وكهدية من الجزائر حتى تكون في وجدانهم قلبا وقالبا، وبالمناسبة

نوجه تحية إجلال وإكبار، ونقدم شكرنا وتقديرنا وإشادتنا على ذلك التجاوب العميق، والتقارب الحيوي، الذي عمق بيننا عرى الأخوة والصداقة وتلاحم الرؤى وتوحيد الغايات، والتجند الكامل لترقية وحماية وتحسين فن الخط العربي في عالمنا العربي الإسلامي.

وخلاصة القول أن الجزائر كانت تتطلع بكل فخر واعتزاز، بفضل احتضاننا هذا المهرجان التاريخي الهام، العمل على حماية فن الخط العربي ورعاية محترفيه وهواته ومحبيه، من خلال ما تجود به قرائحهم وإبداعاتهم ومساهماتهم، في مثل هذا المهرجان وغيره، وإعطاء المكانة اللائقة بهم، باعتبارهم شوامخ يعتز بهم، وتكريمهم في كل قطر عربي دوريا، وهذا ما يجب أن يكون بداية ومثلا يحتذى به مستقبلا، وقد كان من الجزائر أولا، والله يوفق الجميع لما فه خير فن الخط ومبدعيه.

ولعل الحرف العربي هو خير من يقوم بهذه المهمة الجليلة السامية، ويمهد الطريق نحو المزيد من الإشعاع الحضاري لخير أمة أخرجت للناس، بفضل بسم الله الرحمن الرحيم

(ن والقلم وما يسطرون) صدق الله العظيم.

محافظ المهرجان

عبد الحميد اسكندر